

شمال إفريقيا الفصل الأخير للحرب البونية الثانية 204-202 ق.م.

طالب دكتوراه: سايح مرزوق أحمد
جامعة خميس مليانة

الملخص:

هذا المقال عبارة عن دراسة تاريخية، تعالج الفصل الأخير للحرب البونية الثانية بين روما وقرطاجة، والمتمثل في الحرب في إفريقيا بين 204-202 ق.م بقيادة حنبعل القرطاجي وسكيبون الروماني، بالتطرق إلى أهم أحداث هذه الجبهة المتمثلة في نقل الحرب من إيطاليا إلى إفريقيا واستئناف المواجهة في السهول الكبرى، مع التركيز على معركة زاما الفاصلة التي عجلت بانهزام قرطاجة وجرها لتوقيع معاهدة زاما المخزية.

الكلمات المفتاحية: حنبعل، سكيبون الإفريقي، السهول الكبرى، مجلس الشيوخ، شمال إفريقيا، زاما.

Summary:

This article is a historical study, dealing with the last chapter of the second Punic war between Rome and Carthage, which took place in Africa between 204-202 BC led by the Carthaginian leader Hannibal and the Roman one Scipion, addressing the most important events of this front that transferred war from Italy to Africa, as well as the resumption of confrontation in the great Plains, with emphasis on the breakaway battle of Jama, which precipitated the defeat of Carthage and dragged it to sign the disgraceful Treaty of Jama.

Keywords: Hannibal, Scipion the African, Great Plains, Senate, North Africa, Jama.

مقدمة:

حققت القوات الرومانية انتصارات كبيرة على القوات القرطاجية في الجبهة الإسبانية بقيادة القائد الروماني سكيبيون¹، وعاد على إثرها سكيبيون إلى روما وانتخبه مجلس شيوخ بلده قنصلا عام 205 ق.م. كلف سكيبيون بالإعداد للحملة على إفريقيا بالرغم من اعتراض بعض أعضاء مجلس الشيوخ، وجعل من صقلية قاعدة لإعداد العدة طوال عام 205 ق.م²، وبوصوله إلى إفريقيا عام 204 ق.م تبدأ المواجهة بعقد سلسلة من التحالفات والتي سوف ترجح الكفة لصالح روما. فكيف نقل سكيبيون الحرب إلى إفريقيا؟ وماهي التحالفات التي عقدها الطرفين مع القوى المحلية؟ وفيما تكمن أهم معارك هذه الجبهة ولصالح من انتهت؟.

1- لمحة عن تحالف طرفي المواجهة مع القوى المحلية:

يذكر تيت ليف أن سكيبيون خلال فترة تحضيره للحملة في صقلية أرسل كايوس لايليوس (Caius Laelius) على رأس فرقة عسكرية لإجراء غزوات استكشافية للأراضي الإفريقية كمنطقة هيبو(عنايه حاليا)³، فاستغل ماسينيما الفرصة للقاء هذا القائد الروماني، فتوجه إليه مع بعض فرسانه قصد التحالف مع سكيبيون ضد قرطاجة والملك النوميدي صفاكس بهدف استرجاع عرشه المسلوب⁴، حيث كان لاجئاً بجبال خروميري وأبدى لمبعوث سكيبيون تدمره الشديد لتباطؤ سكيبيون في القيام بحملته على إفريقيا فضلا عن إصراره على الإسراع بتنفيذ ذلك⁵.

ويستنتج من هذا التحالف أن سكيبيون قد عقد اتفاقه مع الأمير ماسينيما بسهولة تامة، أين تمكن من إقناع هذا الأخير بمخطط الرومان الهادف إلى مساعدته عن طريق إغرائه باستعادة ملكه المغتصب، فتم الاتفاق سريعا⁶.

أما قرطاج فقد دافعت عن هيبو الأمر الذي دفع القائد الروماني إلى سحب قواته والعودة إلى صقلية⁷، ويذكر تيت ليف أن صفاكس خلال عام 205 ق.م أرسل رسولا سكيبيون يحذره من أنه في حال قيامه بهجوم على إفريقيا فإنه سيتحالف مع قرطاجة من أجل أرضه وزوجته وأبناء جلدته⁸.

تحالف صفاكس فعلا مع قرطاجة، فضم قواته إلى جيش قرطاجة وهو متيقن ومدرك لخطر السياسة الرومانية الهادفة إلى السيطرة على الأراضي الإفريقية بأكملها أجلا أم عاجلا، فدراسته للوضع السياسي دفعه مرغما للتحالف مع قرطاجة للحفاظ على عرشه⁹.

2- سكيبيون ينقل الحرب من إيطاليا إلى إفريقيا 204 ق.م:

لم يهتم سكيبيون لتحالف قرطاجة مع صفاكس فعلى إثر استكمال استعداداته بصقلية حشد قواته البالغة ما يقارب ثلاثين ألف (30.000) محارب حملها على أربعين سفينة حربية وأربعمائة ناقلة في ليليبي (Lilybée)، فاتجه جنوبا قاصدا السواحل الإفريقية¹⁰، وحسب قزال فقد رافق سكيبيون خلال هذه

الحملة أخوه لوكيوس (Lucius) إضافة إلى المتصرف المالي ماريوس بوركيوس كاتو (Marius Porcius Cato)¹¹.

ويروي تيت ليف في هذا الصدد أن الرومان وعلى رأسهم سكيبيون شعروا بسعادة منقطعة النظير لانضمام ماسينيسا إليهم على رأس جيش قوي من الفرسان النوميديين البالغ ألفين فارس¹². ويذكر محمد علي دبوز أن سكيبيون لدى إنزاله بإفريقيا قال مقولة في حق قرطاجية جاء فيها: "ويلتك أيتها البقرة السمينة المستأسدة جاء أكلك، لن نتركك بالقرون النطاحة بعد اليوم ولا بد بعد تقييدك من الإجهاز عليك"¹³.

عسكر سكيبيون لدى نزوله قرب مدينة كستراكونيليا وقام باستطلاع أين جاب وادي مجردة دون اعتراض قرطاجي يذكر¹⁴ هرعت قرطاج إلى الدفاع عن أرضها فتشبت بين الطرفين بعض المناوشات الخفيفة.

3- استئناف المواجهة بين الطرفين في السهول الكبرى 203 ق.م:

رغم المفاوضات التي جرت بين سكيبيون و صفاكس الرامية إلى انسحاب الرومان من إفريقيا في مقابل انسحاب قرطاجية من إيطاليا¹⁵، إلا أنها فشلت في ظل إصرار سكيبيون على المواجهة واستكمال مشروعه الهادف للقضاء على قرطاجية فكانت بداية المواجهة الفعلية بإفريقيا في معركة السهول الكبرى.

تمكن القرطاجيون بدعم من الملك صفاكس ببناء جيش كبير قوامه ثلاثون ألف (30.000) رجل، في حين أخذ ماسينيا الإذن من سكيبيون لجمع جنوده وضمها له، فالتقى الخصمان في منطقة السهول الكبرى (Campi Magni) وهي حاليا نواحي سوق الأربعاء في أبريل 203 ق.م¹⁶، فاختر صفاكس لهذا الموقع نظرا لما يوفره له من إمكانية الاتصال بحلفائه ومراقبة تحركات العدو¹⁷.

وعن التكتيك العسكري للمعركة بالنسبة للطرفين فيذكر بوليب أن الجانب القرطاجي بقيادة هسدروبعل و صفاكس قد وضعوا القرطاجيين والنوميديين على الجناحين الأيمن والأيسر على التوالي يتوسطهما القوات الكلت أيبيرية، بينما الجانب الروماني فقد رتب سكيبيون قواته على ثلاث خطوط¹⁸.

اشتبك الطرفين في مناوشات أولية والتي تحولت إلى معركة فاصلة، تمكن خلالها الجيش الروماني المدعم من ماسينيسا إلحاق الهزيمة بقرطاجية و صفاكس، هذا الأخير وبعدما أحس بالهزيمة ترك ساحة المعركة ولاذ بالفرار متجها صوب عاصمته كيرتا¹⁹.

على إثر هذه الهزيمة وفرار صفاكس قرر سكيبيون تقسيم جيشه إلى قسمين، فالقسم الأول على رأسه لايليوس و ماسينيسا كلف بمطاردة صفاكس وإلقاء القبض عليه، أما القسم الثاني المشكل من المشاة وضعت تحت القيادة المباشرة لسكيبيون ليتولى مهمة السيطرة على المدن والقرى القريبة من السهول الكبرى²⁰.

أما صفاكس على إثر وصوله إلى مملكته وبضغط من زوجته جمع جيشا كبيرا وهم لاعتراض سبيل ماسينيسا ولايليوس ليوقف زحفهم نحو كيرتا، إلا أنه فشل في ذلك ووقع أسيرا في يد خصمه فسلمه ماسينيسا لحليفه سكيبيون في جوان 203 ق.م.²¹، وفي هذه الأثناء أمر لايليوس حليفه ماسينيسا بالتوجه نحو كيرتا والاستيلاء عليها وتمكن من ذلك²².

وعلى هذا الانتصار عاد لايليوس إلى روما محملا بالأسرى على رأسهم صفاكس الذي سجن في تيبور إلى غاية وفاته، بينما راسل ماسينيسا مجلس الشيوخ القرطاجي يعلمهم أن الرومان منحوه تاج النصر وتنصيبه ملكا وحيدا على مملكة نوميديا²³.

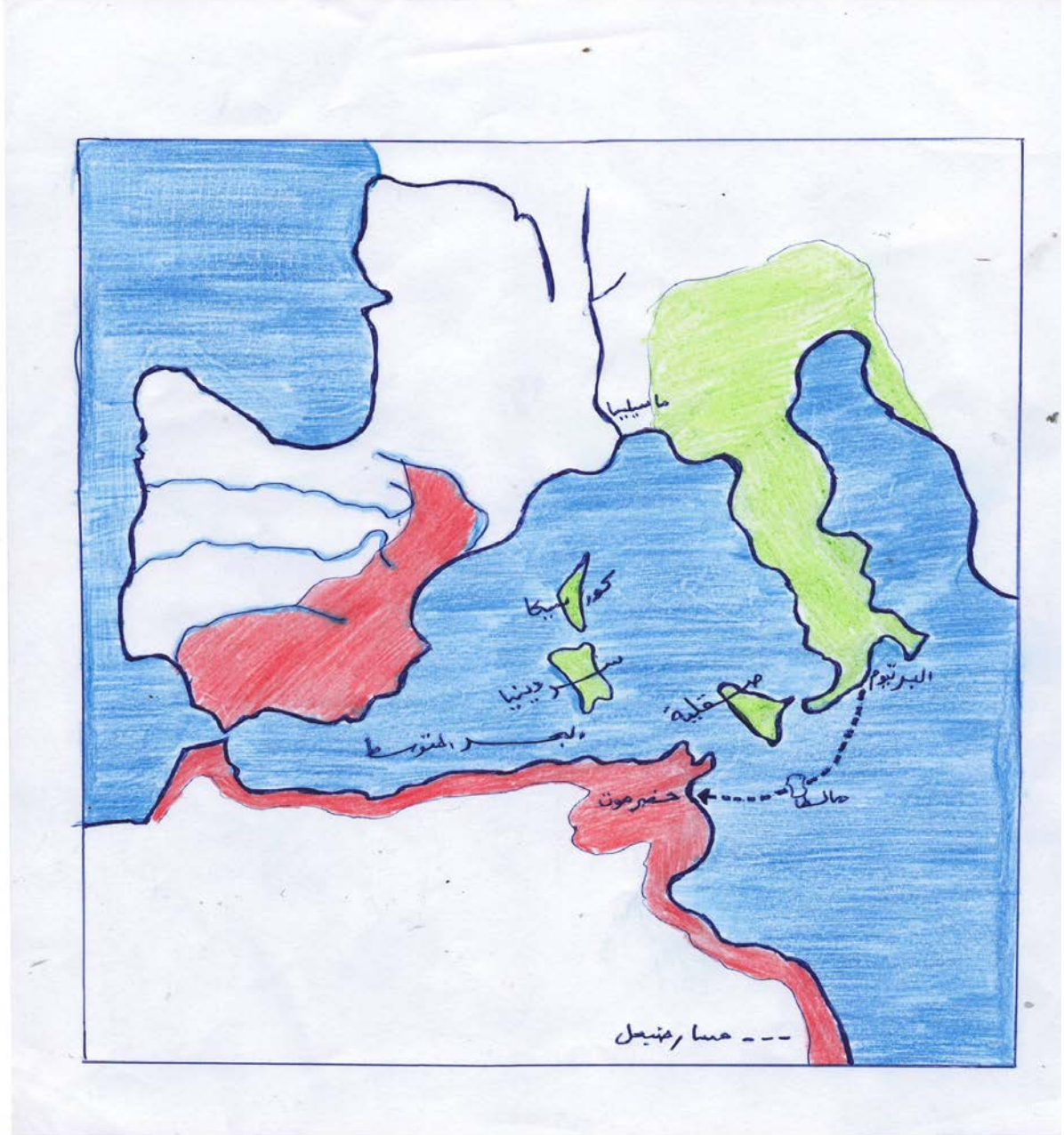
4- جلاء حنبعل من إيطاليا والعودة إلى إفريقيا:

أما هذا الوضع الصعب الذي آلت إليه قرطاجة عمد مجلس شيوخها إلى استدعاء قائديها العسكريين ماغون أولا والذي توفي قبل وصوله متأثرا بجراحه، ثم حنبعل الذي لب النداء وأنزل قرب أدروماتوم في خريف 203 ق.م.²⁴، وتجدر الإشارة إلى أن حنبعل لم يكن باستطاعته التعجيل بالعودة لافتقاره للعدد الكاف من السفن لغرض نقل جميع الجيش، لذا انتظر الأسطول المرسل إليه بقيادة هسدرويل لغرض ذلك²⁵.

بين حنبعل مدى وفائه لوطنه باستجابته لنداء عودته، إلا أنه في جانب آخر شعر بأسف وحزن شديدين لمغادرته إيطاليا التي قضى بها خمسة عشر سنة يحقق الانتصارات، ولسان حاله يقول أن مجلس الشيوخ القرطاجي الفاسد هو الذي هزمني وليس الشعب الروماني²⁶ لذا قبل مغادرته قام بكتابة نقش باللغتين الإغريقية واليونانية في معبد جونو لاسنيا (juno lacinia) مجد فيه بطولاته منذ مغادرته لإسبانيا عام 218 ق.م.²⁷.

تحصن حنبعل أواخر صيف 202 ق.م بالقرب من حضرموت وجعل قاعدته الخلفية غير بعيد من قصور الصاف وهذا لغرض تسهيل عملية تلقي المدد العسكري والمؤونة واعتمد على إستراتيجية عسكرية جديدة تقوم على عنصر المفاجأة، كما عقد حلفا مع فرمينيا (Vermina) ابن صفاكس²⁸.

خريطة توضح الطريق الذي سلكه حنبعل من إيطاليا نحو إفريقيا.



ملاحظة: اللون الأخضر في الخريطة يمثل الأراضي الرومانية والأحمر يمثل الأراضي القرطاجية عام

204 ق.م

المرجع: Le gly, op.cit, p86. (بتصرف)

5- موقعة زاما²⁹ 202 ق.م:

تعتبر عودة حنبعل من إيطاليا إلى الوطن الأم الذي طالما كان يأمل الإطاحة بالرومان وتحقيق حلم والده هاميلكار بداية نهاية الحرب البونية الثانية، حيث سيخوض حنبعل آخر معاركه والتي سوف ترجح الكفة للرومان

1-5 أسباب المعركة:

يذكر قزال أن الرومان شكلوا موكبين من السفن حاملين المؤن هدفها تموين الجيش الروماني المتواجد بالأراضي الإفريقية، الأول بقيادة البريطور بوبليوس كرنيليوس لنتولوس (Poblius Cornelius Lentulus) يتشكل من مائة سفينة يتولى حراستها عشرون سفينة حربية تمكنت من الوصول إلى إفريقيا بعد انطلاقها من سردينيا دون عناء يذكر، أما المجموعة الثانية المتكونة من مائتي سفينة تحت قيادة البريطور كنايوس أكتافيوس (Cnaeus Octavius) منطلقاً من صقلية، وقبل وصولها اعترضتها عاصفة بحرية قوية تمكنت بصعوبة من الرسو مجبرة على جزيرة إيجيمور (Aegimure)³⁰.

استغل السكان الفرصة للضغط على مجلس الشيوخ قصد الموافقة للاستيلاء على السفن خاصة مع شح المحاصيل الزراعية وحاجة السكان للتموين، لذا قرر مجلس أخيراً تكليف هسدرويل للقيام بمهمة الاستيلاء التي تمت فعلاً أين وجهت السفن إلى ميناء قرطاج ووزعت محتوياتها على السكان³¹.

رغم غضب سكيبيون من نقض القرطاجيين لتعهداتهم بهجومهم هذا إلا أنه لم يتسرع في إعلان الحرب عليهم، بل تزيث وقام بإيفاد من معسكره ثلاثة مبعوثين إلى قرطاجه قصد الاحتجاج والمطالبة بالتعويض عن جميع الخسائر الناجمة عن الهجوم³²، ولدى وصول الوفد إلى مجلس الشيوخ القرطاجي أفصحوا عن مطالبهم بطريقة استفزازية وهو ما عرض سفينة المبعوثين للهجوم وقتل العديد من الرومان بينما نجا الوفد المفاوض³³.

لما بلغ مسامح سكيبيون ما حدث مع مبعوثيه قرر ترك مهمة حراسة المعسكر للقائد لوكيوس بابيوس (Lucius Babius) وخرج للرد على القرطاجيين بالمثل لذا قام بمهاجمة التجمعات السكانية للقرطاجيين ونهبها مع إخضاع أهلها، وبالموازاة مع ذلك أرسل رسولا إلى ماسينيسا يطلب منه العون بتجميع قواته والالتحاق به تحضيراً للمعركة الفاصلة³⁴.

قرر مجلس الشيوخ القرطاجي الاستعداد للحرب لوقف الأعمال التخريبية، لذا طلب من حنبعل استكمال استعداداته العسكرية والهجوم على الرومان، وليستكمل تجميع القوات أرسل مبعوثين إلى توخايوس (Tychaios) وهو أحد أقرباء صفاكس لغرض تزويده بالفرسان وهو ما تم فعلاً وأرسل له ألفي فارس دعم بها جيشه³⁵.

وفي نهاية صيف 202 ق.م غادر حنبعل حضرموت (سوسة) ليقوم معسكره في زاما، وعمد حنبعل إلى اعتماد إستراتيجية جديدة تقوم على الدخول في مملكة صفاكس لمفاجأة سكيبيون إلا أن الرومان منعه من ذلك، وعليه تم اللقاء بزاما³⁶.

5-2 أحداث المعركة:

يستعرض لوبواك جيش حنبعل وخطته حيث يذكر أنه كان معه خمسين ألف (50.000) رجل إضافة إلى فرسان فرمينا فضلا عن عدد كبير من الفيلة التي وضعها في مقدمة الجيش لغرض الهجوم واكتساح العدو، وضع المرتزقة الكلتيين والليقوريين والمور في الصف الأول بينما البونيون والمقونيين في الصف الثاني أما القرطاجيين والإيطاليين فوضعا في الصف الثالث، ولم يهمل جنوده القدامى بل اعتمد كثيرا على خبرتهم العسكرية³⁷.

أما سكيبيون فلم يجمع سوى نصف عدد جيش حنبعل أي مايعادل خمسة وعشرون ألف (25.000) رجل، إلا أن جيشه دعم بالفرسان النوميديين الذين جلبهم ماسينيسا، فوضع سكيبيون تكتيكا حربيا استسخه من غريمه حنبعل حيث رتب المشاة في ثلاث خطوط، وكلف قادة الفرسان بالهجوم على أجنحة العدو والانقضاض عليهم ثم مطاردة القرطاجيين الفارين لكي لا يترك لهم مجال لإعادة الهجوم، أما ماسينيسا فوضع على الجانب الأيمن ورتب جنوده الواحد تلو الآخر لترك الفراغ للفيلة وإفساد خطة الخصم³⁸.

يذكر قزال اعتمادا على بوليب أن وصول ماسينيسا إلى معسكر سكيبيون ومعه ستة آلاف من المشاة وأربعة آلاف فارس أضفى على الرومان عزيمة لتحقيق النصر رغم التفوق العددي لجيش حنبعل وما زاد في إصرار الرومان لتحقيق النصر هو وصول ملك نوميدي آخر لدعمهم يدعى داکماس (Dacmas) ومعه هو الآخر ستمائة فارس³⁹.

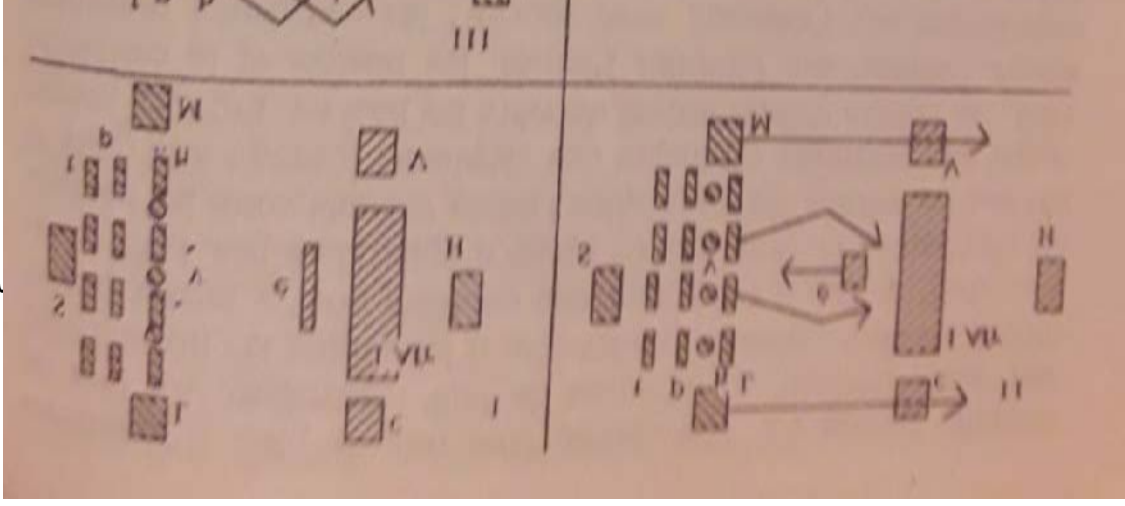
ظهرت بوادر السلام قبل بداية المعركة عن طريق إنهاء الحرب بالمحادثات السلمية، إلا أنها فشلت بسبب الشروط الرومانية الرامية إلى إنهاء السيادة الكاملة لقرطاجة في الحوض الغربي للمتوسط، الأمر الذي عجل باندلاع معركة زاما⁴⁰.

تأكد للطرفين حتمية المعركة التي سوف يتقابل فيها الطرفين وجها لوجه على الأراضي الإفريقية عمل كلا القائدين بدعم من حلفائهم على تحفيز الجند على القتال والثبات في المعركة عن طريق إلقاء خطاب التشجيع والتي لاقت صيتها وسط الجيشين⁴¹.

بدأت المعركة صباح يوم 29 أكتوبر 202ق.م بهجوم فيلة حنبعل والتي وقعت في الفخ الذي نصبه لها سكيبيون وذلك بإثارتها عن طريق الأبواق، فارتدت على جيش حنبعل ملحقة به خسائر فادحة، ليستغل فرسان ماسينيسا الفرصة بدعم من حاملي الرماح أين قام بهجوم خاطف على الفرسان القرطاجيين، مما أرغم الصفوف القرطاجية في الانهيار الواحدة تلو الأخرى وفي هذه الأثناء وضع حنبعل بقية المشاة في الأجنحة إلا أن خطته جاءت متأخرة لأن خيالة الرومان قضت على كل شيء⁴².

تابع كل من لايوليوس وماسينيسا فرار الفرسان القرطاجية بمهاجمتهم من الخلف وألحقوا بهم هزيمة شنيعة، بينما انسحب حنبعل في ظل هذه الفوضى مع بعض الفرسان والتجأ إلى حصرموت بعد عرضه لجميع فنونه وتكتيكاته العسكرية التي أبدع فيها وذلك باعتراف من الرومان وعلى رأسهم سكيبيون

منقطع
جيشا



I- نلاحظ التنظيم والتوزيع الأولي لقوات الجانبين (القرطاجي والروماني)، فالقوات الرومانية بقيادة سكيبيون وضع المرتزقة مرتبين عموديا وبين كل فرقة من المرتزقة يوجد جنود الفيليت، وعلى ميمنة الجيش قوات ماسينيسا وعلى الميسرة قوات لايليوس، ومن وراء المرتزقة تمركزت قوات الدعم.
أما القوات القرطاجية بقيادة حنبعل الذي وضع الفيلة في الخط الأمامي وعلى الميمنة الفرسان القرطاجية، أما على الميسرة وضع فرسان فرمينا النوميديّة وبينهما المشاة الإفريقية أما المؤخرة فمركز قيادة حنبعل.
II- في الخط الثاني نلاحظ أن بعد فشل فيلة حنبعل بسبب الأبواق، قام الفرسان الرومان بهجوم مضاد في نفس الوقت هجوم لايليوس وقوات ماسينيسا على قوات فرمينا والفرسان القرطاجيين ملحقين بهم خسائر فادحة.
III- مشاة حنبعل طبق عليها الفخ وحوصرت من طرف الفرسان والمشاة النوميديّة لتنتهي المعركة لصالح الرومان.

المرجع: Lebohec(y), op.cit, p251.(بتصرف).

5-3 نتائج المعركة:

كانت الخسائر البشرية على إثر المعركة ثقيلة جدا، خاصة بالنسبة لقرطاجة حيث خسر حنبعل ما يزيد عن خمسة وعشرون ألف (25.000) قتيل فضلا عن ثمانية آلاف وخمسمائة أسير حرب، بينما لم يخسر سكيبيون وحليفه ماسينييسا سوى عدد قليل قدر بألف وخمسمائة قتيل⁴⁵.

أرسلت روما البريطور بوبليوس لنتولوس (Poblius Lentulus) إلى شمال إفريقيا على رأس خمسين سفينة محملة بالموءن، وتزامن وصوله مع نهاية معركة زاما فاستغل سكيبيون وصوله وكلفه بمهمة حمل أخبار النصر بينما عاد هو إلى تونس التي أقام بها معسكره⁴⁶، وبها استقبل وفدا قرطاجيا مشكل من ثلاثين عضوا مهمته طلب السلم والتوسل للصالح، وعجل سكيبيون بالصالح بعدما تيقن بصعوبة اختراق أسوار المدينة المحصنة⁴⁷.

ومن هذا المنطلق تمكن سكيبيون من إملاء شروط قاسية⁴⁸ على قرطاجة تمثلت فيما يلي:

- تلترم الدولة القرطاجية بتحرير جميع أسرى الحرب الرومان، فضلا عن إعادة الفارين الرومان بما في ذلك العبيد.

- تقزيم الوجود القرطاجي بالحوض الغربي للمتوسط، وذلك بالانسحاب التام من إيطاليا وغالة والتخلي عن إسبانيا نهائيا.

- ضمان استقلال قرطاجة وممتلكاتها في إفريقيا فقط.

- تتخلى قرطاجة عن أسطولها البحري وتسلم سفنها لروما، والسماح لها الاحتفاظ بعشرة سفن فقط.

- تسلم قرطاجة كل ما تملكه من أفيال الحرب وأن لا تقوم مستقبلا باقتنائها ولا تحضيرها للحرب.

- يمنع على قرطاجة إثارة أي حرب داخل الأراضي الإفريقية وخارجها إلا بعد حصولها على إذن من روما.

- تدفع قرطاجة أجور جنود روما وكذا تموينهم بالموءن وهذا طوال الفترة السابقة لتوقيع المعاهدة.

- تدفع قرطاجة غرامة مالية قدرها مائتين وزنة أوبية كل عام طوال خمسون سنة، وهو ما يعادل إجمالا عشرة آلاف وزنة أوبية من الفضة.

- لضمان التزام قرطاجة ببنود المعاهدة تقوم بتسليم روما مائة شاب بشرط ألا يتجاوز سنهم الأربعين عاما.

ونظرا لمساندة ماسينييسا للرومان فرض على قرطاجة شرط آخر يتم بمقتضاه استرجع ماسينييسا جل الأراضي التي كانت بحوزته، فضلا عن أراضي أبائه وأجداده⁴⁹.

بتحليل هذه البنود نخلص إلى أنها قيدت قرطاجة سياسيا وعسكريا، كما زرعت بذور الحقد منذرة بيوادر حرب أخرى بين الطرفين، فضلا عن تفويض مجالها الجغرافي بإطلاق يد ماسينييسا للتوسع ليس حساب مملكة صفاكس وإنما حتى على حساب الأراضي القرطاجية.

ولاستكمال عقد الصلح والتوقيع على معاهدة زاما 201 ق.م من الجانب الروماني تم استفتاء الشعب الروماني، هذا الأخير وافق على بنود الصلح وكلف بذلك سكيبيون لتوقيع المعاهدة وفق الشروط المفروضة⁵⁰.

فقدت قرطاجة مركزها الريادي فبعدها كانت الدولة التجارية الأولى باسطة نفوذها على المتوسط، أصبحت مدينة تجارية ضعيفة وبسيطة لفقدانها لمرافئها وموانئها في الحوض الغربي للمتوسط وهو ما أثر سلبا على علاقاتها التجارية مع الشرق والغرب⁵¹.

وعن تطبيق بنود معاهدة زاما المخزية يشير قزال إلى تسليم قرطاجة أغلب سفنها الحربية وكذا فيلتها، كما أطلقت جميع الأسرى الرومان بما فيهم عضو مجلس الشيوخ كنتوس تيرنتيوس كوليو (Quentus Terentius Culleo)، وتم إهداء بعض الفيلة إلى ماسينيسا وإرسال الأخرى إلى روما، أما سكيبيون فقد غادر إفريقيا عام 201 ق.م متجها نحو روما التي وصلها تحت استقبال شعبي كبير وأطلق عليه لقب الإفريقي⁵².

6- حنبعل من نهاية معركة زاما إلى وفاته:

عمد حنبعل المدعّم من طرف الشعب الناقم على السلطة بعد هزيمة زاما وتقييد قرطاجة عسكريا واقتصاديا إلى تغيير الأوضاع وانتهاج منهج جديد في التسيير، فبعد انتخابه كقاض عام 196 ق.م حرص على تطبيق جملة من الإصلاحات الداخلية والشروع في عملية تطهير واسعة، فأصلح الجهاز السياسي والإداري بالقضاء على الفساد المالي⁵³.

يرى لوبواك استنادا إلى العديد من الكتابات أن سياسة حنبعل الإصلاحية ما هي إلا مواصلة لسياسته الثورية وكذا إرساء الديمقراطية.

مست إصلاحات حنبعل مجلس الأربعمائة فبعدها كان أعضاء هذا المجلس يعينون مدى الحياة ونظرا لفساد هذا المجلس قرر تغيير صيغة التعيين أين أصبح الأعضاء يعينون عن طريق الانتخاب لمدة عام واحد فقط، كما عمل في الجانب الاقتصادي على تخفيف عبء الضرائب باعتبار قدرة الدولة على تسديد الضريبة المفروضة عليها من طرف روما قرر تغيير صيغة التعيين أين أصبح الأعضاء يعينون عن طريق الانتخاب لمدة عام واحد فقط، كما عمل في الجانب الاقتصادي على تخفيف عبء الضرائب باعتبار قدرة الدولة على تسديد الضريبة المفروضة عليها من طرف روما⁵⁴.

خلفت هذه الإصلاحات سخط كبير في أوساط الطبقة الأرستقراطية التي رأت أن حنبعل بهذا العمل يقلل من نفوذهم وغناهم، وما زاد من سخطهم إقدام حنبعل على إقرار قانون جديد يهدف إلى تقديم حصيلة وتقارير الخزينة العامة للقضاء على عمليات الاختلاس للمال العام التي تقوم بها هذه الطبقة، الأمر الذي دفع هذه الأخيرة إلى مراسلة روما وتقديم شكوى ضد حنبعل على أساس مخالفة تصرفاته ومحتوى بنود معاهدة زاما حفاظا على مصالحهم⁵⁵.

سارعت روما على إثر تلقيها الشكوى إلى تشكيل وفد بقيادة كونتوس ترانتوس كوليو (Quintus Tarentius Culleo) وكلف بمهمة التحقيق في الصراع الدائر بين الأرستقراطيين والقرطاجيين من جهة وحنبل من جهة أخرى، إلا أن حنبل لعلمه بانحياز الرومان لهذه الطبقة وتأميرهم عليه لذا قرر مغادرة الوطن الأم في عام 195 ق.م سرا نحو صور ومنها إلى الملك أنطيوخوس الثالث (AntuochosIII) الملك المقدوني في سوريا⁵⁶.

وبتحفيز من حنبل أعلن أنطيوخوس الحرب على روما، إلا أن الهزيمة ألحقت به وفرضت عليه روما معاهدة قاسية، وعلى إثر ذلك شعر حنبل بالخطر الروماني فغادر المنطقة متجها صوب جزيرة كريت⁵⁷، ومن كريت لجأ إلى بيثينا عند صديقه بروسياس والتي قضى بها بقية حياته والتي ختمها بالسم لما علم بترصد الرومان للقبض عليه حيا وذلك عام 183 ق.م لتنتهي فصول الحرب البونية الثانية.

خاتمة:

- ومن خلال معالجتنا لهذا الموضوع توصلنا إلى جملة من الاستنتاجات نلخصها في النقاط التالية:
- نقل روما الحرب من إيطاليا إلى إفريقيا نابع من رغبتها الملحة على السيطرة على الحوض الغربي للمتوسط نظرا لأهميته الاستراتيجية والاقتصادية.
 - شخصية حنبل القوية تكمن في وطنيته ودفاعه المستميت عنه فضلا عن دفاعه عن بني جلدته.
 - انهزام حنبل أمام روما لا يعود إلى ضعف تكتيكاته العسكرية بل إلى خيانة مجلس شيوخ بلده وتقاعسهم في تدعيمه ماديا ومعنويا.
 - رغبة حنبل في هزم روما في عقر دارها لم تتحقق والأدهى والأمر هو أن بلده هو من مني بالهزيمة.
 - معاهدة زاما المخزية المفروضة على قرطاج فتحت باب مواجهة أخرى بين الطرفين فيما يعرف بالحرب البونية الثالثة.

ملحق 01: تمثال نصفي لحنبعل.



المرجع:

S. Alexander gentry ; Hannibal 's strategies (during the second Carthaginian war with Rome and his ultimate goal of Roman subjugation) , new cote university Library, 2002 , p 1

ملحق 02: صورة لسكيبون الإفريقي.



المرجع :

Hamonou(E), Rome change de stratégie et opte pour une guerre d'usure, in :les cahiers science et vie, paris, avril-mai 2008, p95.

¹ بوليوس كورنوليوس سكيبيون (Poblius Cornelius Scipion): لقب بسكيبيون وهو اسم الشهرة لعائلته في روما القديمة، كان من أبرز أفرادها كما أطلق عليه اسم سكيبيون الإفريقي (Scipion l'Africain) (183-235 ق.م)، عرف بكفائه القيادية العالية نظرا لانتصاراته العسكرية خلال الحرب البونوية الثانية في اسبانيا وفي إفريقيا على حنبعل في معركة زاما 202 ق.م، ورغم انجازاته فقد اتهم من طرف أعدائه ونفي إلى الكابيتول حيث مات وأوصى بكتابة الكلمات التالية على قبره: "أيها الوطن العاق إنك لا تستحق رفاثي". (للمزيد ينظر: بسام العسلي، هانيبال القرطاجي 183-247 ق.م، بيروت، ص 84).

² فتحة فرحاتي، نوميديا من حكم الملك غايا إلى بداية الإحتلال الروماني 213-46 ق.م، الجزائر 2007، ص 71.
³ Tite-Live, Histoire Romaine, XXIV, 1,14, trad. D de Celerq, paris 2001.

⁴ فتحة فرحاتي، المرجع السابق، ص 71.

⁵ فرنسوا دوكريه، قرطاجة الحضارة والتاريخ، تر. يوسف شلب الشام، ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق 1994، ص 178.

⁶ محمد البشير شنييتي، الإحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146 ق.م-40م)، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص 26.

⁷ اصطيغان اكصال، تاريخ شمال إفريقيا القديم، ج3، تر. محمد التازي سعود، مطبوعات الأكاديمية المغربية، الرباط 2007، ص 187.

⁸ Tite-Live, XXIX, 23, 10.

⁹ محمد حسين فنطر، يوغرطة من ملوك شمال إفريقيا وأبطالها، الدار التونسية للنشر، تونس 1970، ص 56.

¹⁰ محمد السيد عبد الغني،

¹¹ اصطيغان اكصال، المرجع السابق، ص 186.

¹² Tite-Live, XXIX, 29, 4.

¹³ محمد علي دبور، تاريخ المغرب الكبير، ط1، مطبعة عيسى البابلي الحلبي وشركائه، مصر 1964، ص 153.

¹⁴ شارل أندري جوليان، تاريخ شمال إفريقيا منذ البدء حتى الفتح الإسلامي، تر. محمد مزالي والبشير سلامة، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2011، ص 87.

¹⁵ اصطيغان اكصال، المرجع السابق، ص 193.

¹⁶ أحمد توفيق المدني، قرطاجة في أربعة عصور من عصور الحجارة إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986، ص 61.

¹⁷ محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص 67.

¹⁸ Polybe, Histoire, XIV, 2,8, trad. Rousset (d), Paris 1970.

¹⁹ محمد الصغير غانم، المملكة النوميديّة والحضارة البونوية، ط1، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 1998، ص 81.

²⁰ Tite-live, XXX, 12.

²¹ محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 81.

²² Lancel(S), Hannibal, ceres edition, Paris 1995, p381.

²³ محمد البشير شنييتي، قضية السيادة النوميديّة من خلال المصادر القديمة، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 05، الجزائر 1988، ص 35.

²⁴ Marcel le gly, Histoire Romaine, ed.PUF, Paris 2008, p90.

²⁵ اصطيغان اكصال، المرجع السابق، ص 209.

²⁶ Tite-Live, XXX, 30,20.

²⁷ Le Bohec(y), Histoire militaire des guerres puniques 246-146 av.j-c, ed.tallendier, Paris 2014, p248.

²⁸ Ibid, p249.

²⁹ زاما هو الإسم المشهور تاريخيا حول معركة كبيرة في تاريخ البحر المتوسط، وهي مدينة في إفريقيا الشمالية بتونس حاليا، والمدينة اليوم عبارة حقل أثري يقع على بعد خمسة وثلاثون كيلومتر من مدينة مكنتر.

³⁰ اصطيغان اكصال، المرجع السابق، ص 211.

³¹ Brizzi(g), Moi Hannibal, France 2007, p243.

³² اصطيغان اكصال، المرجع السابق، ص 212.

³³ Diodore de SicileBibliothèque Universelle, XXVII,trad. Fred Hofer, Paris 1865.

³⁴ Lancel(s), op.cit, p277.

³⁵ Brizzi (g), op.cit, p246.

³⁶ Le bohec, op.cit, pp248-249.

³⁷ Ibid, p250.

³⁸ Polybe, XV, 1, 9 ; Lebohec(y), op.cit, pp251-252.

³⁹ اصطيغان اكصال، المرجع السابق، ص 227.

⁴⁰ أحمد صفر، مدينة المغرب العربي في التاريخ، دار بوسلامة، تونس، ص 232.

⁴¹ اصطيغان اكصال، المرجع السابق، ص 230.

⁴² Le bohec(y), op.cit, pp 251-252.

⁴³ Tite-Live, XXX, 30,35.

⁴⁴ محمد علي ديبوز، المرجع السابق، ص 169.

⁴⁵ Rollin(ch), Histoire Romaine depuis la fondation de Rome jusqu'à la bataille d'actium, tIV, Paris 1741, p73.

⁴⁶ Tite-Live, XXX, 30, 37.

⁴⁷ اصطيغان اكصال، المرجع السابق، ص 239.

⁴⁸ تسعديت رمضان، معاهدة زاما 201 ق.م، مجلة الدراسات التاريخية، العدد7، الجزائر 1996، ص 21.

⁴⁹ محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، ط2، تر.محمد الشاوش ومحمد عجيبة، دار سراس للنشر، تونس 1993، ص 22.

⁵⁰ Tite-Live, XXX, 30,7.

⁵¹ Mommsen(th), Histoire Romaine, T3, trad. Alexander(C.A), Paris 1865, p251.

⁵² اصطيغان اكصال، المرجع السابق، ص 246-245.

⁵³ Decret(F), Carthage au l'empire de la mer, ed. seuil, Paris 1977, p218.

⁵⁴ Ibid, p219.

⁵⁵ Lancel(S), op.cit, p292.

⁵⁶ Tite-Live, XXXIII, 47, 7.

⁵⁷ بسام العسلي، المرجع السابق، ص 102.